﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾

للشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

-حفظه اللّٰه تعالى-

[شريطين مفرّغين]

www.islamway.com للشيخ صالح آل الشيخ

سورة محمّد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (1) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (3) فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (8) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (10) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ

وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (12) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (13) أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ(14)﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـــالمين، والصـــلاة والســـلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أســأل الله جل وعلا لي ولكم الهـدى والسـداد والتوفيق والرشــاد، وأســأله تبــارك وتعــالى أن يرينا الحق حقا ويمنّ علينا باتباعه وأن يرينا الباطل بـــــــاطلا ويمن علينا باجتنابه وتركه.

كما أسأله جل وعلا أن يحيينا حيـاة طيبـة، وأن يميتنا ميتة طيبة، وأن يحشرنا مع أولياء الله جل وعلا.

هذه الآيات التي سمعتموها من صدر سورة محمد عَلَيْـهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أقف فيها مع آيتين أو مع مسألتين:

أما **الأولى**: فهي قوله جل وعلا ﴿**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ**﴾.

والثانية: هي قوله جل وعلا ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾.

المسألة الأولى

أما الآية الأولى ففيها بيان أن المقتـول في سـبيل الله عز وجل سيهديه الله وسيصلح باله، وفي هـذا دلالة ظـاهرة أن الهداية تكون بعد الممات أو تكون بعد مفارقة الـدنيا، فبحق الذين قتلـوا في سـبيل الله فهم سـيُهدون، بعد تـركهم لهـذه الدنيا سـيهديهم الله جل وعلا، وكـذلك الـذين مـاتوا إذا كـانوا على الإيمان سيهدون وسيصلح الله بالهم وسيدخلهم الجنة.

في هذا قال العلماء: إن الهداية التي جاءت في القرآن أربعة أنواع:

النوع الأول الهداية الغريزية: وهي المذكورة في قوله تعالى ﴿**الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾[طه:50]، فهذه هداية جعلها الله جل وعلا رحمة منه لكل مخلوق، كل مخلوق هداه ﴿**الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾، هداه لما يصلحه، هداه لما قدر الله جل وعلا له في حياته.

سماها العلماء الهداية الغريزية، هذه هداية طبعية، طبع عليها الخلق.

النوع الثاني من الهداية هداية الدلالة والبيان والإرشاد: فإن الله جل وعلا هدى الخلق، وأقام لهم البينات الواضحة التي لا يلتبس معها النظر ولا السلوك لذي العقل ولذي اللب، فأرشد جل وعلا وبين وهدى وعلم ودلّ، وذلك بإنزال كتبه وبإرسال الرسل.

إنزال الكتب لإقامة الحجة على العباد ولهدايته ﴿**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**﴾[المائدة16].

كذلك الرسل يهدون إلى ما أمرهم الله جل وعلا به فيبينوه للناس.

فإذن هداية الدلالة والبيان لم تترك للاجتهاد، وإنما قد بينت وأوضحت لأن الله جل وعلا هو الهادي وإن الله لهادي الذين آمنوا، قال جل وعلا في حق نبيه ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[الشورى:52]، يعين هداية البيان والدلالة والإرشاد.

إذن لا خير ولا شيء فيه الصلاح للعباد إلا وقد بيّنه ودل عليه العباد وأرشدوا إليه، في الكتب بما أنزل على الرسل وخاصة القرآن العظيم الذي أنزله الله جل وعلا على قلب خاتم المرسلين، وبما أوحى الله جل وعلا إلى نبيه من السنة.

وهذا يعني أن من ظنّ أو زعم أن هناك طريقا يوصل إلى الله جل وعلا ويهدي إلى الله دلالة وبيان لم يرد في الكتاب ولا في السنة، في ضمن هذا المقال أن البيان والهدى والدلالة والإرشاد التي جاءت في القرآن والسنة أنها لم تكن على وجه الكمال؛ لأن القائل بأنه يمكن أن نهتدي إلى سبيل لم ينص عليه في القرآن والسنة، معنى ذلك أن هناك سبيل هداية لم يرشد إليه العباد، وهذا ولاشك باطل ومناقض لما في التنزيل والسنة، إذ تنزيل القرآن كان لهداية الخلق، والله جل وعلا ما فرّط في الكتاب من شيء، على أحد التفسيرين بأنه القرآن، وبيّن القرآن وأنزل الذكر لتبينه وهذا ليكون حجة كافية، وأعظم ما يؤخذ من القرآن العظيم ومن الرسالة، أعظم ما يؤخذ هو سبيل الهداية وسبيل النجاة.

فإذن يتقرر بهذا أن سبيل النجاة وسبيل الهداية لابد أن يكون واضحا في القرآن وفي السنة أبلغ الوضوح وأعظم الوضوح وأظهره.

النوع الثالث من الهداية هداية التوفيق والإلهام: وهذا النوع من الهداية مبتدؤه من العبد ومنتهاه من الله جل وعلا؛ يعني أن الله جل وعلا يمن بتوفيقه وبإلهامه وتسديده للعبد بسبب من العبد، قال الله جل وعلا

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾[الأنفال:23]، وهذا النوع من الهداية يأخذ في تحصيله وهو توفيق الله جل وعلا وإلهامه وتسديديه يأخذ بسببه العبد إذا سلك السبيل والطريق.

أما إذا سلك طريقا آخر بتفريط منه في العلم أو بتركه سبيل الحق بعد معرفته فإنه يوكل إلى نفسه ويحرم التوفيق والسداد والإلهام.

لهذا كان ما عند الله جل وعلا إنما يطلب منه يعني امتثال ما أمر، ولا شك أن العبد إذا سلك سبيل الهداية راغبا، فإن التوفيق على الله جل وعلا قد ووعده به العبد، وعد الله جل وعلا حق لا يخلف الله الميعاد، ولهذا كان من أسرار الدعاء العظيم الذي في الفاتحة وهو قوله تعالى ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾[الفاتحة:6-7]، هذا الصراط فُسّر بأنه الإسلام القرآن السنة ونحو ذلك، وقيل في السؤال في الاستشكال إن المصلي قد حصلت له الهداية، الهداية إلى الصراط؛ لأنه ما دام مسلما مؤمنا مصليا قد هُدي إلى القرآن وإلى السنة وإلى الإسلام، فما فائدة هذا السؤال؟ وهو قول المصلي ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ مع أنه مهتد إذ كان مؤمنا مسلما؟

وأجيب بأجوبة أحسنا أن الهداية إلى الصراط المستقيم هداية إلى أفراد ذلك الصراط.

والصراط الذي هو الإسلام الإيمان القرآن السنة قد يأخذ العباد منه شيئا ويتركون شيئا آخرا، فأفراده كثيرة، أفراد

القرآن من حيث الالتزام بها أحكامه أخباره كثيرة، كذلك أمور الإســـلام الإيمـــان، فســـؤال العبد ربه جل وعلا أن يهديه الصراط المستقيم؛ يعـني أن يوفقه ويسـدده لسـلوك جميع أفراد الصراط المستقيم.

لهـذا وصف ذلك الصـراط بأنه صـراط الـذين أنعم الله عليهم فقال ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾ والذين أنعم الله عليهم هم الذين في سورة النسـاء يقوله جل وعلا ﴿**وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا (69) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا**﴾[النساء:69-70]، فدل على أن الهداية للصراط أخص -هذا الصـراط المـذكور في الفاتحـة- أخص من الهداية إلى مطلق الإســـلام والإيمـــان أو مطلق الالتزام بالقرآن والسنة.

إذن فنحن في أمس الحاجة فيما يقـول شـيخ الإسـلام وابن القيم وجماعة العلماء إلى هذا الدعاء ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ لأنه ما من زمن إلا والصوارف فيه على الالتزام بجميع أفراد الصراط المستقيم أكثر من الـزمن الذي قبله، وهذا مأخوذ من قوله عَلَيْـهِ الصَّـلاَةُ والسَّـلاَمُ «**لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**» ذلك الشر يكون بكثرة، يكون بأشياء منها كثيرة الصـوارف عن لـزوم الصـراط المسـتقيم، لهـذا كـانت الحاجة عظيمة إلى أن تســـــــأل الله جل وعلا الهداية إلى الصراط المستقيم.

الهداية يعني الالتزام وتمامه حصول التوفيق من الله جل وعلا هو الذي يعنى به هذا النوع من الهداية وهو الهداية هداية التوفيق السداد والإلهام.

إن التوفيق من الله جل وعلا، التوفيق من الله جل وعلا، ومعنى التوفيق عند أهل السنة والجماعة أن لا يكل الله العبد لنفسه، أن يمده بعون خاص به يكون قوة له على الطاعة وصرفا لقلبه عما لا يرضاه الله جل وعلا.

وغير أهل السنة يفسرون التوفيق بأنه خلق القدرة على الفعل ويفسرون الخذلان بأنه حرمانه من القدرة على الفعل، وهذا قول الأشاعرة وما شابههم، وهو باطل وهذا ليس محل بيان بطلان.

المقصود أن التوفيق إعانة خاصة من الله جل وعلا للعبد، هذه الإعانة هي هداية من الله جل وعلا، لو لم يعن الله جل علا عبده عليها لم حصل على الهداية لم؟ لأن إبليس وجنده يرصدون العبد ويرصدون توجهاته ويرصدون سلوكه، وهم أحرص ما يكونون على صرفه.

فإذا كان معه عون من الله جل وعلا وتوفيق وتسديد كان قويا عليه، فإذا حُرم ذلك العون ذلك التسديد كانوا أقوى عليه من نفسه، ولذلك يكون أحوج ما يكون العبد إلى أن يهديه الله جل وعلا هداية التوفيق؛ لكن هذه مع أنها منة من الله جل وعلا وتفضل وتكرم؛ لكنها بسبب من العبد وهو أن يكون سالكا سبل الهداية.

النوع الرابع من أنواع الهداية هو الذي جاء في هذه الآية، وهو أعظم أنواع الهداية وآخرها ونتيجتها ومحصَّلها، وهو **هداية المؤمنين إلى طريق الجنة**،

هداية المؤمنين إلى سلوك سبيل الصراط في الآخرة، كما أنهم سلكوا السبيل والصراط في الدنيا فإنهم يُهدون إلى السبيل وإلى الصراط في الآخرة؛ لأنه بيننا وبين الصراط يعني يوم القيامة ظلمة، دون الجسر ظلمة، ويُهدى المؤمنون -يهديهم الله جل وعلا- إلى الصراط، كل بحسب عمله، وهذه خاتمة الهدايات بالنسبة لأهل الإيمان، يُهدون إلى سلوك الصراط وإلى نوع مشيهم وثباتهم وقوتهم على الصراط، وتعلمون أن من وصفه أنه أدق من الشعر وأحد من السيف وإنه مزلة، وهذا يشعره في أن السير عليه عسير إن لم يكن ثم مدد وتوفيق من الله جل وعلا، وهذا من أفراد هذه الهداية.

كذلك يهدى إلى طريق الجنة ويهدى إلى منزله، قال جل وعلا ﴿**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ**﴾ لأنهم قد قتلوا فإذن الهداية هنا ليست هداية الدنيا فإنما هي هداية الآخرة.

ويقابل ذلك في حق أهل النار قال جل وعلا ﴿ **فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ(23) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾[الصافات:23-24]، في سورة الصافات، يهدى أهل الجنة إلى الجنة ويهدى أهل النار إلى النار، وهذه ثمرة الهداية في الدنيا ثمرة من قبلها وثمرة من لم يقبلها.

المسألة الثانية

الآية الثانية هي قوله جل وعلا ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾.

ذكرنا أن الهداية منها هداية بيان وإرشاد، وهذه لم يتركنا الله جل وعلا للاجتهاد فيها، فقد بينها لنا بيانا كافيا شافيا كاملا لا نقص فيه بوجه من الوجوه، إذْ من مقتضى الرحمة من إنزال الكتاب وإرسال الرسول أن يكون الهدى كاملا، قال جل وعلا في وصف القرآن ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء**﴾[فصلت:44]، وهدى معه لا يكون الضلال ومعه لا يكون الالتباس، بالقرآن وبالسنة البينة كاملة والطريق والبيان ظاهر أتم الظهور، قال جل وعلا في وصف المؤمنين ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾ أشد الناس حظا وأكثرهم نصيبا من هذه الآية هم الذين كانوا اشد استمساكا بالبينات التي جاءت في الكتاب والسنة، وأقلهم حظا من نقص من الاستمساك بما جاء من البينات في الكتاب والسنة، حتى يكون الناس على فريقين متباينين أشد التباين.

من كان على البينة يعني على الالتزام بالقرآن والسنة والأخذ بما جاء به من البينات.

والصنف الثاني من ترك هو الذين تركوا البينات التامة وكانوا في أعلى سوء العمل أعلى صور سوء العمل وذلك هو الكفر وأعلى صور ابتاع الهوى وذلك هو اتباع الشيطان.

وبين الفريقين من يقرب من هؤلاء ومن يقرب من هؤلاء.

فهذه الآية تصدق على كل من كان عنده التزام بالبينات، وعنده تنوع سوء عمل ونوع هوى، فلا يدخل الذي عنده

سوء العمل وعنده الهوى مع من كان على بينة من ربه يحتج بما جاءه عن ربه جل وعلا وبما جاءه به نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

فإذن في هذه الآية بيان أن المرء إما يكون على بينة من ربه، وإما أن يكون على غير بينة من ربه في بعض أمره أو في كل أمره.

وذلك من قوله ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ**﴾ والبينة تصدق على البينة الواحدة وعلى جنس البينات، وقال جل وعلا في وصف ما يقابل أولئك ﴿**كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾ وسوء العمل يصدق على الواحد ويصدق على جنس العمل.

فإذن دلت الآية على أن كل امرئ مخاطَب بأن يكون على بينة من ربه؛ لأنّ في هذه الآية الإنكار، الاستفهام ههنا إنكاري، ينكر على الذين جعلوا من ساء عملهم واتبعوا أهواءهم مساوون أو يفضلون عن أولئك الذين هم على بينة من ربهم.

فهذا الاستفهام فيه الإنكار وفي الإنكار توبيخ أيضا، قال جل وعلا ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾ إذن نستفيد من الآية الحث والحض على أن يكون المرء في أموره كلها على بينة من ربه، وأن يكون مقتفيا البينات والهدى الذي جاء في القرآن والسنة، لا يكون سالكا مع هواه وسالكا ما زين له من العمل؛ بل إنه إذا كان سالكا ما زين له من العمل وترك اتباع البينات والهدى فله نصيب من اتباع الهوى بحسب ذلك.

إذا تقرر هذا مع ما بينا سالفا من أن الهدى -هدى البيان والإرشاد- قد تم في القرآن وبينه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، فمعنى ذلك أنه لا يلتمس منهج السلف في الحقيقة بعدٌ عن البينات التي جاءت في الكتاب والسنة، لم؟ لأن المتبعين للسلف -الحمد لله وتوفيقه ومنته عليهم- ليس لهم مسألة في منهجهم ولا في عقيدتهم ولا في أمورهم إلا ولهم عليها بينة، لا يحتجّون بالرأي ولا بما اجتهدت فيه عقولهم؛ بل احتجاجهم بما جاءنا من البينات والهدى، والله جل وعلا قال في سورة هود ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ**﴾ قال جل وعلا بعد ما تلوتُ ﴿**فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾[هود:17].

إذا نظرنا إلى الذين خالفوا منهج السلف، هل كان احتجاجهم بعد أن خالفوا احتجاجا بالنصوص أو احتجاجا بالأقيسة والعقول والآراء؟ لاشك أن الجواب أنه إنما احتجوا بالأقيسة والعقول والآراء، وكل من خالف منهج السلف له نصيب من قوله تعالى ﴿**زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾.

أنظر إلى جميع المخالفين في باب التوحيد والصفات أو توحيد الإلهية، لهم في رد قول السلف أو في ردّ البينات التي جاءت في القرآن والسنة لهم في ردها منازع ومذاهب كلها خارجة من العقل والقياس والرأي.

وأعظم مصيبة دخلت على المسلمين تحكيم الرأي على الشرع، وهي المصيبة التي يعاني منها المسلمون اليوم.

فالآية دلت بظهور كما سمعتم على أنه ليس بعد اتباع البينات وهي الدلائل والبراهين إلا تزيين سوء العمل وإلا ابتاع الهوى، وهذا ظاهر؛ لأن من خالف النصوص فله نصيب من اتباع الهوى، النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إنما بعث ليطاع.

إذا تأملت في هذا الزمن، وهو زمن خلافات، والخلافات فيه لا تظهر في صورة معارضة النصوص صريحة كما كان فيما مضى من الزمان.

كان فيما مضى الذين يعارضون النصوص يعارضونها بوضوح، يقولون مثلا هذه حديث آحاد لا نقبلها، هذه أحاديث حسنة لا يحتج في العقيدة إلا بالمتواتر أو إلا بالصحيح لا يقبل الحسن، هذه أقوال للسلف وهي تناسب زمنهم لا تصلح في لا نحكم بما قالوه على وفقنا، أقوال السلف أسلم ولكن أقوالنا أعلم وأحكم، ذلك كان فيما مضى من الزمان.

في هذا الزمان قلّ من يتجاسر على هذه الألفاظ ولكن تجوسر على مخالفة السلف وترك البينات بأنواع أخر.

فترى عند المخالفين احترام لأقوال السلف، ترى عند المخالفين اعتداد بما ينقل عن السلف، ترى عندهم نقلا بل نقولا عما يروى عن السلف، فلا تجدهم يعارضون ذلك؛ لكنهم لا يلتزمونها، والتزموا بأشياء يخالف ما كان عليه هدي السلف، خاصة عند الجماعات الإسلامية التي ظهرت في هذا الوقت.

هذه المسألة لا شك أنها تحتاج إلى بصيرة بما كان عليه السلف، وبما عليه أولئك، أعظم مما كان من قبل، لم؟ لأن

الأمر يعني في الأزمنة الماضية كان واضحا، هذا يتهجم على السلف، يقول: هؤلاء لا يصلح، أقوالهم لا تصلح، قواعد العلوم السلفية لا تصلح، وهذه منابذة واضحة، فيكون من تمسك ما عليه السلف يكون على بينة ووضوح.

في هذا الزمان التبس الأمر، اختلط الأمر، صار المنتسبون إلى السلف عندهم شيء جديد ألا وهو التفريط في ما نلتزم فيه بهدي السلف أو بمنهج السلف تفريط في المسائل.

يقولون مثلا: **عقيدة سلفية، العقيدة تكون سلفية؛ ولكن المواجهة عصرية**.

وهذه كلمة من الكلمات التي ظهرت في هذا الزمن، يقولون: نأخذ بسلفية المعتقد؛ ولكن المواجهة نأخذ بها بما يناسب العصر. مواجهة من؟ المواجهة لاشك أنها مواجهة الكفر الشرك ومواجهة من حاد سبيل الله، مواجهة أهل الظلم والطغيان، ونحو ذلك.

مواجهتهم أليست من عظيم المسائل التي يحتاجها المسلم؟ الجواب: بلى؛ هي من عظيم المسائل التي يحتاجها المسلم.

إذن فادعاء أن المواجهة متروكة للاجتهاد ادّعاء بأننا في هذا الأمر لم نكن فيه على قول واضح وبينة ظاهرة؛ يعني أن هذه المسألة ترك فيها للاجتهاد، إذن فالهداية في هذه المسألة بكاملة.

لهذا أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح ذكروا في عقائدهم اهتماما بهذه المسألة، ذكروا في عقائدهم كيف تكون المواجهة، أليس عند أهل السنة والجماعة المتحققين

بما كان عليه السلف ليس عندهم أن المواجهة اجتهادية؛ بل عندهم أن المواجهة تبع لما جاء في النصوص من أحكام المواجهة.

المواجهة ما معناها؟ إما أن تكون مواجهة جهاد، أو تكون مواجهة إنكار منكر، أو تكون مواجهة خروج على والٍ، أو تكون مواجهة بإنكار منكر، ونحو ذلك، هذه أنواع المواجهات.

هل أنواع المواجهات من هذه مما نحن فيه على بينة من الله؟ أم مما لم تأتنا؟ ما الجواب؟ الجواب نحن على بينة.

الآيات المكية فيها الكلام على ما يصنع المسلم مع المشركين إذا كان مستضعفا وليس ثم دار هجرة في دار كفر وليس ثم دار هجرة، ولا يستطيع إظهار دينه مثلا بعض الآيات المكية.

الآيات المدنية فيها بيان قتال المشركين، ومجاهدتهم وما يتصل بالجهاد من مباحث.

وهذه في الواقع، واقع تميز الصف المسلم أو تميز المجتمع المسلم عن مجتمع الكفار.

إذن فهذان الحالان قد بيَّنا أتم بيان في القرآن:

حال يكون فيه المؤمنون بين المشركين؛ لكن تميز لصفهم ولا لمجتمعهم ولا لدولتهم عنهم.

والحال الثانية حال فيه بينونة وتميز للمسلمين ولمجتمع المؤمنين عن مجتمع الكافرين.

ما الحال الثالثة؟ هل ثَم حال ثالثة في المواجهات، نعم، إنها إنكار المنكر، وإنكار المنكر بيّن في السنة؛ بل وفي

القرآن أكمل بيان.

فإذن المتّبعون للسلف، بل نقول إن هذه المسائل التي ذكرنا وهي مسائل المواجهات، هل هي أو هل أصحابها والمتنازعون فيها هل يدخلون في هذا الآية؟ الجواب: نعم، قال جل وعلا ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾ كل من خالف في تلك المسائل فلابد أن تجد عنده تحسينا وتزيينا لعمله، وذلك التزيين والتحسين للعمل عقوبة؛ لأنه خالف البينات، إما أن يكون خالفها عن قصد وعمد بأن عرفها ثم خالف، وإما أن تكون مخالفته لها وتركه لها عن قصور وتقصير في البحث عن الحق، قال جل وعلا ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾[الأنبياء:24]، ولا يُعذر المرء بالإعراض عن تطلّب البينات والهدى مع إمكان ذلك، فإذن من خَالف طلب في البينات والهدى والصواب في تلك المسائل، من خالف ولم يطلب أو علم وخالف قصدا فلابد أن يعاقب، ومن أنواع العقوبة أن يزين له سوء عمله والعياذ بالله، وإذا زين له سوء العمل فمعنى ذلك أن يكون تحصيله للحق ضعيفا؛ لأن الواقع في الشيء الذي يرى ذلك الشيء الذي وقع حسنا جميلا، كيف يرى غيره حسنا جميلا فضلا عن أن يراه أحسن أو أجمل، وهذا هو الذي وقع فيه كثيرون اليوم.

إذن فالمسألة مسألة بينات وهدى، وليست مسألة تحسين وحسن وجمال، ليست المسألة آراء، إنّ هذا الأمر طيّب، ينتج نتائج طيبة؛ نراه حسنا لا ليست هذه المسألة عند

أهل السنة والجماعة عند السلف، إنما السلف الصالح عندهم الاتباع، إذا اتبعوا فما ينتج عن الاتّباع هو الحسن الجميل وغيره قبيح وليس بحسن.

اليوم تنظرون إلى المخالفين إلى منهج أهل السنة والجماعة كثيرون؛ لكن الذين تشتبه مخالفتهم تشتبه على كثيرين، وربما خدع بهم الأكثيرون أو خدع بهم كثيرون هم الذين يحترمون السلف الصالح ويقولون عقيدتنا عقيدة السلف الصالح؛ ولكنهم يخرجون عن منهج السلف في أشياء لا يستحسنونها.

منهج السلف مثلا في مسائل التغيير التي هي مسائل الساعة، ومسائل الإصلاح منهجهم واضح، وهي التي تسمى مسائل المواجهة، نقول نحن فيها: نحن على بينة من ربنا، لا نتركها، فلا تكن في مرية منه إنه الحق من ربك، ما دام أن هذا لنا عليه بيّنات والدلائل، فنحن في مرية منه، فعلينا أن ننظر إلى الاتباع والوسيلة، وليس علينا أن ننظر إلى ما نحصّله من النتائج أو ما نرومه من الغايات، لا؛ لأن الأمر إنما هو أمر عبادة.

نوح عليه السلام ما آمن معه إلا قليل، النبي صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يعلم أنه سيهاجر حتى أمره الله جل وعلا بالهجرة، لم يؤمر بعد، يعلم لأصحابه ولا يعلم ما يحكم الله جل وعلا فيه، حتى أمره ربه جل وعلا بالهجرة فهاجر.

إذن فنصل من هذا إلى أن هذه المسائل المحدثة ننظر في إليها مطمئنين بتدبرنا في هذه الآية ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا**

أَهْوَاءهُمْ﴾ ناقش المخالفين في ذلك، ستجد أنهم يحيلونك على قلوبهم، يحيلونك على عواطفهم يعني يحيلونك على ما تهـواه أنفسـهم؛ لكن نـاقش أهل السـنة المتحققين بمتابعة السلف، فسـتجد أنه وإن كـان قلبه يغلي وإن كـانت عواطفه جيّاشة فيضع عواطفه وقلبه جانبا وينظر نظر علم بالنصوص، لهذا النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّـلاَمُ كـان يسـتثار في مكة أفلا نميلن، لو أمرتنا لملنا على أهل منى بأسـيافنا؟ أفلا نميل على أهل مـنى بأسـيافنا؟ شـكي إليه ما يلقونه، هـذه شكوى الشباب؛ لأنهم ينظرون بعواطفهم، والنـبي صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ ربما مـال فصـبّره الله جل وعلا بقوله جل وعلا ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾[الروم:60]، يعني أهل الشرك، وقال جل وعلا ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء**﴾[يوسف:110] الآية، قال جل وعلا في هذه الآية ﴿**وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ**﴾، عائشة رضي الله عنها وغيرها يقول إن القراءة ﴿**وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُواْ**﴾ لأن الرسل لا تظن بأن الله جل وعلا يكذبهم ما وعدهم؛ ولكن القراءة المتواترة ﴿**وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ**﴾ وهذه حال يصل إليها المرء بشدة ما يعاني، شدة ما يعاني، يظن أنه قد كـذب، لا شـكا في وعد الله جل وعلا؛ ولكن ظنا أنه ليس بأهل أن يحقق فيه موعـــــــود الله جل وعلا، ﴿**وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ**﴾ هذه الحال حال نفسية، حال نفسية، لهـذا ثبت النـبي عَلَيْـهِ الصَّـلاَةُ والسَّـلاَمُ بسـورة هود وثبت بسورة يوسف هو من معه، قـال جل وعلا لا في

آخر سورة هود ﴿**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ هو عليه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أعلى الخلق مقاما وإيمانا واهتداء احتاج إلى تثبيت ﴿**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[هود: 120]، كذلك مَن معه يحتاجون إلى ثبات وتثبيت، تثبيتهم وثباتهم بأي شيء؟ بمتابعة البينات والهدى، بتلاوة القرآن والتدبر فيه، وألا يخرجوا إلى أهواء أنفسهم.

لاشك أن أهل السنة والجماعة المتابعين للسلف الصالح -رضوان الله على الجميع- أنهم متحققون بذلك، إذا ناقشتهم ستناقش العالم من علماء المسلمين المتابعين للسلف الصالح ستجد أن جوابه جواب من عزل عاطفته وما يظهر فيه عن تحكيم تلك العاطفة وتلك الرغبات على النصوص.

وهذه مسألة من مسائل التوفيق العزيزة، وهي أن يوفق طالب العلم أو يوفق العبد إلى أن تكون متابعته للنص، لا أن يكون متابعا لهواه.

ولهذا جاء في الحديث الذي يصحّحه النووي وغيره من أهل العلم «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**» يعني الإيمان الكامل، فإذا كمل الإيمان في قلب العبد، صار هواه وما يحبه ورغبته فيما جاء به الشرع تبعا لما جاء به الشرع.

أما الآخرون لأجل تربيتهم لأجل ما هم عليه، فتجد أن واقع هو يخالف ذلك، العاطفة بها يفهم النص، الظلم الواقع على العبد بها تفهم النصوص، ينزلون النصوص على الواقع

الذي ضادّ أو يضاد أنفسهم وهواهم، وهذا لاشك أنه خروج بالنفس على الاتباع إلى تحكيم الهوى، بل هذا يعاقب العبد بأنواع من العقوبات، فإن أمر المتابعة وانتماء العبد لنظره إلى رغبته وهواه هذا أمر عزيز جدا؛ لأنه هو خلاصة توحيد العبد لربه جل وعلا أن يخلص مما يشتهيه إلى ما يأمره ربه جل وعلا بهذه المسألة يعظم التباع خاصة في هذا الوقت كما ترون.

فمن الناس من وفق إلى اتباع سبيل أهل السنة والجماعة أعني السلف الصالح؛ ولكنه لم يوفقوا إلى الطمأنينة لذلك، فتجد في نفسه تردد، في نفسه نزوع، تارة إلى هذا وتارة إلى هذا، ذلك لأنه لو خبر نفسه وتأمّل وكان طبيبا بنفسه وفي قلبه لوجد أنه تنزع عنده نوازع يحكّم فيها نفسه على الشرع، إذا سألته على البينة لم يجد بينة إلا أن يجتهد في أن يجعل الدليل تبعا لما يهواه، وأهل السنة والجماعة المتابعين للسلف الصالح هؤلاء يجعلون أنفسهم تبعا للأئمة.

الذين يكون هذه المقالة -التي هي مقالة باطلة-، يقولون: نأخذ بسلفية المعتقد وبعصرية المواجهة، فهذه المقالة تغمض على كثيرين، وهي أن المواجهة من الدين فليس ثم مواجهة عصرية ومواجهة سلفية، المواجهة كلها يجب أن تكون على منهج السلف، ولهذا تجد أن من خالف منهج السلف في نوع المواجهة يحصل له نوع عقوبة، قال جل وعلا في سورة المائدة في وصف النصارى ﴿**فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ**

وَالْبَغْضَاء﴾[المائدة:14]، الجماعات المنفصلة عن جماعة الإخوان المسلمين مثلا بتفرعاتها وأشكالها، ألا تجد أن بينهم شيئا من العداوة والبغضاء؟ نعم، إن بينهم ذلك، بعضهم يقدح في بعض حتى إن بعض الجماعات المنفصلة عن جماعات الإخوان يكفّر أصحابُها رؤوس الإخوان لأجل دخولهم في البرلمانات ونحو ذلك، وهذا نوع من الإلقاء والإغراء للعداوة والبغضاء.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى: الفرقة سببها نسيان العباد حظ مما ذكروا به. فإذا نسي العباد شيئا حظا مما ذكروا به بعد أن بينوا به وكان الحجة قائمة عليهم يعاقبون بأنواع من العقوبات وأشدها وقوع الفرقة فيما بينهم، ووقوع الفرقة فيما بينهم، الفرقة التي معها العداوة والبغضاء، ولا شك أن هذا حقا في هذه الأمة وفي تاريخها وحصل في هذا الزمان.

التفرق الذي حصل الآن في الأمة المسلمة، طائفة من الذين يدعون إلى عودة الحياة الإسلامية يقولون لابد من اتحاد الأمة الإسلامية، اتحاد الدول الإسلامية، ونحو ذلك، أليس كذلك؟ يطلبون الاتحاد الوحدة وهذه الدول وما فرقها إلا الاستعمار، ما فرق هذه الدول إلا الاستعمار وإلا الأمة واحدة ونحو ذلك، نسألهم لم تفرقوا شيعا وأحزابا؟ أليست الفرقة مذمومة؟ فهذه الفرقة التي تمارسونها في الجماعات والأحزاب أليست فرقة؟ بل هي فرقة تصرف عن الهدى أكثر من صرف تشتت هذه الدول عن الهدى، وهذا ظاهر، سببه اتباع الهوى سببه تزيين سوء العمل، سببه أن المواجهة التي كل الجماعات واقعة فيها -يعني الجميع في

مواجهــة- أن المواجهة جُعلت عصــرية، إذا كــان المواجهة عصرية فإذن طريقـتي في المواجهة اجتهادية وطريقة الآخر اجتهادية والثالث اجتهادية.

فإذن من كل جماعة لا تعجب أن تنشأ جيوب واتجاهـات، لم؟ لأننا جعلنا المواجهة اجتهادية وعصــرية، فــإذا كــان ثم ثلاثة أربعة عشرة يرون رأيا في سـبيل من سـبل المواجهـة، وليس على هـــذا الـــرأي أهل الفرقة الأصــلية أو الجماعة الأصلية فلم لا يجتهدون هم ويجعلون أنفسهم جماعة يرون أن المواجهة تكون على هذا المنوال.

لماذا خصصت هذه المسـألة بالـذكر؟ لأن في الوقع من معايشة الشباب في هذه البلاد وفي غيرها وُجدت أن هــذه المسألة هي أكثر المسائل[1]

لا يلزمنا أن تكـون مواجهتنا عصـرية هـذه المسـألة الـتي البلاء فيها اليــوم واقــع، النــاس يعــني من على منهج أهل السنة فيها فريقان:

منهم ومن عنـده طمأنينة والحمد لله لما دل عليه الكتـاب والسنة والبينات فيما في معتقد أهل السنة في طريق إنكـار المنكر والكلام على منابذة أهل السـنة والجماعة المتـابعين للسـلف الصـالح لطـرق الخـوارج المعتزلة في الموقف من الولاة ونحو ذلك.

وطائفة أخـــرى اعتراها بعض الشــكوك، اعتراها بعض عــدم الطمأنينة والقناعة بما دلت عليه البينــات، وما جــاءت الأدلة وما ذكره أهل السنة والجماعة في عقائدهم، فصاروا

---

[1](?) انتهى الشريط الأول.

إلى مسألة المواجهة والموقف من الحكام مثلا والحكومات الكافرة أو من الولاة الذين لم يسلب اسم الإسلام وفي الإيمان، ينظرون إلى أن الموقف منهم والمواجهة تكون اجتهادية، وقع في بعض القلوب بعض الاشتباه خاصة عندنا الشباب السعوديين، فذهبوا مذاهب شتى خاصة المذهب الذي يقول أو الاتجاه الذي يقول: إن المواجهة عصرية.

هذه الطائفة الواقع أنه قصّروا في العلم؛ لأن الواجب أن المرء إذا كان عنده شبهة أن يسعى في إزالتها وكشفها، لا أن يجتهد برأيه ويخرج عما دلت عليه الأدلة إلى رأي رآه، إذا ما زالت الشبهة في يوم أو في أسبوع أو في شهر، ليس معنى ذلك أن تترك ما تعلمه أنه الحق لأجل جديد؛ لأجل كثرة المتكلمين به؟ لا؛ بل الواجب أن تبقى على ما كنت عليه إذا قع في القلب شيء من الشبهة تسعى في إزالته، تسأل أهل العلم إذا سأل واحد ولم يكن عنده جواب شافي، اسأل الثاني والثالث لابد أن يكون العلم النافع محفوظا في المتابعين للسلف، إذا جهله بعضهم فلن يجهله الآخرون.

إذن فأقول إنّ هذه الآية وهي قوله تعالى ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾ تفرض علينا أن نكون على بينة من ربنا في أمورنا جميعا، وخاصة هذا الأمر العظيم الذي هو أمر المواجهة.

في مصر تعلمون الحوادث التي حصلت وإن كانت

حوادث فردية في غالب الأحيان، اجتهادية لكنها قد يكون معجبون بها.

أقول من رحمة الله جل وعلا للسلفيين أن هيأ لهم من عنده البصيرة ومعرفة للنصوص ومتابعتها حتى لا تفجعهم هذه الأمور؛ لأن هذه الأمور التي تحدث السياسية أو القلاقل من بعض الإسلاميين أو في المواجهات أو بعض الجماعات ونحو ذلك، هذه قد يعلم قوة [...] الأشخاص، فإذا كان عندك من يقوده قيادة صحيحة فهذا من أنواع منة الله جل وعلا علينا، لهذا لو كان المرء لوكل في نفسه لتخطفته الأقوال والآراء الكثيرة التي نراها اليوم.

لهذا أوصي في آخر هذه الكلمة التي طالت، أوصي أن نكون على بينة من ربنا في جميع أمورنا، البينة قائمة والحجج واضحة؛ لكن المطلوب من العبد أنه يسعى في أن تكون نفسه مطمئنة بتلك البينات؛ لأن النفس إذا كانت مطمئنة لم يصرفه أحد لا يمنة ولا يسرة.

واليوم كثرت الأقوال وكثرت الآراء وكثرت الكتب وكثرت المجلات وكثرت النشرات وكثرت المحاضرات، وإذا سمعت لكل أحد فمعنى ذلك أنك عرضت دينك للتنقل، كما قال الإمام مالك رحمه الله من أكثر الخصومات أكثر التنقل، من أكثر الخصومات يعني أكثر السؤال والخصومة في المسائل أكثر التنقل.

وقال أيضا: إذا رأيت أهل الجدل فإياك وإياهم. قال رجل له يعني للإمام مالك: أرأيت الرجل منا يكون معه السنة أيجادل عليها؟ قال: لا، يخبر بالسنة، فإن قبلت منه وإلا سكت، لم؟ لأن من ليس معه السنة، لن يجادلك بالسنة،

سيجادلك بالرأي بالهوى وبالعقل، والمجادلة بـالرأي والعقل والهوى تصرف كثيرين؛ لأنه ليس عند أكثر الخلق قـوة العقل والإدراك ما تكـــــــون الحجة العقلية مدفوعة بحجة عقلية أخرى، فلهذا يكون الأمر على الإخبار بالسنة.

في هذا الوقت كثرة المجادلين وكثر الآراء يجب علينا بعد أن من الله علينا تكرما منه وتفضلا، أن نكـون على اطمئنـان بما عليه سلفنا، على اطمئنان من عقائدنا، على اطمئنان بما جاء وذكره أئمتنا ومشـايخنا وعلماؤنـا، وأن ننصـرف عنـه، لا بـرأي ولا باجتهـاد ولا بعقـل؛ لأن هـذا لا الطريق تابعنا فيه والمتابعة عبادة، وأصحاب الطرق الأخرى اجتهدوا والاجتهـاد في هـذه المسـائل مـردود مـذموم إلا إذا كـان اجتهـادا فيما ليس فيه نص.

السلفيون إذا تابعوا فإنهم بإذن الله جل وعلا لن يعاقبوا، قد يبتلـون ابتلاء من الله جل وعلا للتمحيص، لكن إذا تـابعوا وحرصـوا كـدعوة أن يَلـتزموا بها وأن يُلزمـوا من معهم بها بأصـولها وعقائـدها ومنهجها فـإنهم بـإذن الله وبتوفيقه لن يعاقبوا، إذا ابتلوا فالابتلاء لاشك قد يقع بأكمل الناس.

إذا نظــرت إلى غــيرهم فــإنهم قد خلط في حقهم بين العقوبات وبين الابتلاء.

ولهذا نعـود وأكـرر أنه في خضـمّ هـذه الموجـات العالية في هــذا الــوقت والاتجاهــات المتباينة الوصــية الوصــية بالمتابعة للمتقدمين، والوصية الوصية بالحـذر من المحـدثات وأصحاب المحدثات خاصة في هذا الطريق الجديد أول كلمة جديدة التي قيل فيها عصرية المواجهة.

عصــرية المواجهة أوش معناهــا؟ يعــني إذا احتجنا في

المواجهة إلى مظاهرات؟ لا بأس نعمل مظـاهرات، نعمـل، عصـرية، إذا ما خـرج السـلف نخـرج؛ لأن هـذا من أنـواع المواجهة العصرية، الزمن اقتضى ذلك، الأوضاع والارتباطات وواقع الـدول ونحو ذلك اقتضى ذلـك، فهـذه المسـائل وما يدخل تبعا لها من اجتهـادات وآراء، لابد أن نكـون معها على بينة.

المسألة الأخيرة الحذر الحـذر من الاسـتعجال؛ لأن مما يُغـرى بها السـلفيون أنهم بطـيئون، بطـيئون يمشـون في دعـوتهم مشي كما يقـال مشي [...] بطيـئين ما أحـدثوا وما غيروا ما عملتم، ماذا قدمتهم؟ كيف واجهتم هـذا الطغيـان؟ كيف واجهتم هـذا الظلم؟ كيف واجهتم هـذه الحكومـات الظالمة الحكومـات الفاسـدة الـتي فعلت وفعلت؟ كيف واجهت هؤلاء الطغاة والحكام؟

تأتي هذه الأسـئلة ويـأتي كثـير من السـلفين ويحتـار، إذا كـان على طمأنينة فيعلم أن المقصـود أن يكـون متابعا لا المقصـود أن يصل إلى الغايـة، إذا كـان من أصـحاب الاعتقادات من أصحاب المجادلات أو السماع فإنه قد يغـرى بتلك الكلمات.

فـإذن الحـذر الحـذر من الاسـتعجال، فـإن مـيزة المنهج السلفي في هذا الـوقت أنه منهج يسـير على خطًا ثـابت في دلائلها ليس من المنهج العجل ولا يسـتخفه الحـوادث ولا تستخفه المواقف ولا التغـيرات، إنما سيسر بـالمنهج واضـح، حادثة تغيرات سياسية أقوال حـوادث، يعلم دعـاة السـلفيين وقادة الدعوة أنه في عمر الدعوة قصيرة؛ سنة سنتين ثلاث، مثلا أزمة الخليج مرت سنة سنتين ثلاث هي في عمر الدعوة

قصيرة، كيف أجعل الدعوة التي عمرها طويل أجعلها في طواعية هذه الأزمة التي ستنتهي قريبا؟ كيف أجعل الدعوة منفعلة بحادث منفعلة بموقف منفعلة بأحداث؟ لا يجوز ذلك.

الدعوة تسير على أصولها، ولا تنفعل بالأحداث ولا تتأثر بها، تؤثر الدعوة السلفية بالأحداث ولا تتأثر بها.

وهذه الجملة لعلي أفصل الكلام عليها في المرة القادمة، وهي أعني هذه الجملة هي: أن الدعوة السلفية تتميز وتأثيرها في الأحداث وعدم تأثرها بالأحداث.بخلاف الدعوات الأخرى، الدعوات الأخرى مواقفها منفعلة بالأحداث، خططها المستقبلية الدعوية المرحلية تنفعل مع الأحداث، بحسب ما يجد يجددون، بحسب ما يحدث يفعلون، وهذا لاشك أنه ليس من طرق السلفيين، وبسب ما يظن أن طرق السلفيين وطريق الدعوة السلفية هو الذي هو الأمر الذي أمرنا به، وهو أن تكون طريقتنا على المنهج الصحيح سنصل ما نصل تحصل الغاية ما تحصل ليس علينا ذلك.

استغفر الله جل وعلا لي ولكم من زغل القول وزغل العمل وأسأله لي ولكم التوفيق والسداد.

وصلى الله وسلم وعلى نبينا محمد.

❀❀◈❀❀

هذه الآية وهي قوله تعالى ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾[غافر:55]، فيها أن الله جل وعلا وعده حق، وهذا الوعد لا شك أنه سيكون، يعني ما وعد الله جل وعلا به حاصل لا محالة، وما قدّره الله جل وعلا على العباد إما من ابتلاء ومصايب أو من تأخر موعود الله جل وعلا، أو من بعض ما لا يؤنسهم في الدنيا، هذا ليس إلى

العبد إنما هو من الله جل وعلا، والذي على العبد أن يسعى فيما أمر به شرعا، وأن لا ينظر إلى ما يجعله الله جل وعلا قدَرا، فثم شرع شرعه الله جل وعلا وهو أمر هذا نحن مكلفون به امتثالا له واتباعا وطاعة، وأن ما يفعله الله جل وعلا ويخلقه ويقضيه ويقدره فهذا ليس إلينا، قال جل وعلا ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾[الروم:60] وقال جل وعلا ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[الأحقاف:35].

بهذه الآيات جميعا تلحظ فيها أن الله جل وعلا يصرف العباد عن رؤية ما قدّره إلى رؤية ما شرَعه؛ يعني امتثالا واتباعا، في آية سورة المؤمن هذه قال جل وعلا ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**﴾[غافر:55]، قبلها قال جل وعلا ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾[غافر:51]، هذا وعد الله هذا وعد، الذين آمنوا بنص الله جل وعلا أنهم منصورون ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[الصافات:171-173]، هذا وعد الله قال جل وعلا ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾ وعد الله بذلك حق وعليك الصبر، ما الذي تؤمر به؟ قال جل وعلا ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**﴾ والاستغفار والتسبيح في هذا الموضع؛ يعني

ملازمة الهدى وترك كل السيئات والبعد عن جميع ما لا يحب الله جل وعلا ويرضى، فأمر بالاستغفار وبملازمته والاستغفار يحدث الطمأنينة ويحدث البصيرة وينزل توفيق الله جل وعلا على العبد، فبالاستغفار يتّضح الأمر، وبالاستغفار يقوى العقل، لهذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله ابن تيمية: ربما استعصت عليّ المسالة في مسائل العلم فأستغفر الله ألف مرة حتى يفتح لي مغلقها. يستغفر لأجل الفتح، فبالاستغفار يتيسر الأمر، موعود الله جل وعلا القدري لابد أن يكون؛ لكن على العباد أن يسعوا في وسيلته، ومن وسائله أن يكونوا مستغفرين لله جل وعلا، واستغفار الله جل وعلا استغفار العبد ربه فيه أن العبد محتاج إلى ربه، فيه أن العبد يستعظم لذنبه، فيه أن العبد محتاج إلى ربه، ففي الاستغفار عبوديات قلبية متنوعة، الاستغفار فيه ذل العبد لربه، الاستغفار فيه استكانة العبد وانكساره بين يدي ربه، وفي التسبيح بعده ملازمة الهدى والطاعة قال ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**﴾ ملازمة الطاعة، إذن فأنت مأمور بملازمة الطاعة، وأما رؤية القدر متى يكون قدر الله متى يكون ما وعد الله جل وعلا به، فهذا ليس لنا وإنما عليك وإليك الصبر لا غير. والله أعلم.

على كل حال الأخ يطلب الشريط أنه يؤذن في توزيعه يكون بشرط أن يراجعه الشيخ أحمد والشيخ وليد يراجعان الشريط مرة أخرى، فإن رأوا أنه مناسب الأخطاء لأن المتكلم قد يخطئ أو قد يوجد أخطاء ليس لها تبعة لمن يسمعه فلا بأس وإذا كان في ذلك فلا يجوز.

الشريط بالمناسبة أخاف منه أنا كثيرا، ولذلك في

الــدروس والمحاضــرات ســواء في الريــاض أو في غيرها أسحب الشريط أو لا أأذن بالتسجيل، والسبب أن تبعاته كبيرة جـــدا لهـــذا إذا روجع الشـــريط من قبل من يحسن الفهم والتصور وقال أنه مناسب لا بأس.

بعامة أي شــريط تســمعونه تســمعه لي وفيه شــيء أخطاء من الأخطاء فلا أســمح بتاتا ولا أبيح من يســاعد في نشــره، هــذه وصــية للجميع ســواء هنا أو في مصر في أي مكان.

هذه وصية أظن مقبولة؛ لأن هذه المســألة ليست ســهلة عندي لأن الأخطاء هناك أخطاء تكون مثلا زلة لســان ما لها تبعــة؛ لكن أحيانا خطأ لفهم، تكلم في مســـألة ذهب ذهنه المتكلم إلى شيء آخر فقررها خطـأ، هـذا لا ما أسـمح بـه؛ لأن المتكلم أحيانا يخطئ، ما بلغنا من العلم أن تكون جميع المسائل الـتي نـذكرها من الوضـوح بحيث يكـون الخطأ فيها نادر أو قليل.

لهذا نقـول: إن المســائل الـتي ذكرتها فيها خطأ ولو كـان خطأ لسان لكن يُتصور عند الســامع أنه ليس خطا لســان أنه تقريــر؛ فهــذه لا يــؤذن بنسخ الشــريط ولو كــان خطأ واحد والبقية كله نـــــافع. إلا إذا رأيتم حـــــذفها ونحو ذلك بمسح الشريط هذا يرجع لكم.

وأرى أن هــذه ما تقتصر علي أيضا على جميع المشــايخ وطلاب العلم؛ لأن الشريط تبعته عظيمة يســمعها ألف ألفين عشرة آلاف، موش سهلة. أليس كذلك المسألة عظيمة لهــذا الكلام المســجل حجة أكـثر من الكلام المســموع لأن الكلام المسموع إذا التبس عليك فهمها، خلاص انتهت سمعتها مـني

وانتهت فتصحيحها أو فهمها مرة أخرى فتصحح، أما شريط ترده مرة مرتين ثلاث مرات فيوقع في الالتباس.

وكثير من الذين وقعوا في التباسات في الفهم من جراء بعض المحاضرات في الأشرطة لأنهم ظنوا أن كل معلومة في الشريط ما لم تكن من العلماء الكبار المحققين أنه كلها صحيحة فينبغي الحذر في هذا.

س/ سبب اللجوء ما سبب لجوء الشباب إلى هذا المصطلح الجديد عصرية المواجهة رغم سلفية معتقدهم؟

ج/ هناك أسباب عدة، منها ما رأيتم الإفصاح عنه في هذا المجلس ومنها ما لا يمكن بيانه.

من تلك الأسباب ضيق النفس في الواقع والرغبة في الخلاص منه، الواقع في الأمة اليوم ويعيشه المسلمون سواء من جهة الأحكام أو من جهة الناس أو من جهة الحكومات، هذا لاشك أنه واقع يضغط على نفس أي مؤمن في قلبه اهتمام ويَقصره ربما على أشياء أكبر، ما لم يكن عنده قوة من اليقين والعلم بتوفيق الله جل وعلا، هذا الضغط أنتج أشياء منها الرغبة في الخلاص من هذا الواقع المرير، الرغبة في الخلاص في هذا الواقع المرير، لأجل الخلاص من هذا الواقع المرير تنوعت الفئات والاتجاهات والجماعات، فصار السبيل للخلاص منه يختلف فيه الناس، أحد تلك السبل أو السبيل من تلك السبل خرجوا على المعتقد الصحيح خرجوا بهذا المصطلح فمن أسبابه ضغط الواقع.

من أسبابه بالنسبة ظهور المصطلح قلة العلم؛ لأن العلم

كلما كان قويا كلما جعل الله في نفسه أقل في الاجتهاد أكثر، فتجد أن العلماء الكبار أقل من الشباب اجتهادا والشباب أجسر في الاجتهاد من العلماء المتقدمين؛ لأن العالم كلما رسخت قدمه في العلم كلما كان أحرص على المتابعة، لم؟ لكي يخلص من التبعة، يعني تبعة الاجتهاد الآراء الأقوال ليست بسهلة، يتبعه واحد عشرة ألف ألفين ثلاثة آلاف ليست بسهلة، فكلما كانت قدم العالم أرسخ كلما كان خلوصه عن الاجتهاد أكثر، ورغبة في الاتباع إلا إذا وجد أنه لا مناص من الاجتهاد في المسألة لعدم مجيئها في النص.

س/ يقول السائل: ..سلفية معتقدهم؟

ج/ سلفية المعتقد في الواقع كلمة مطاطة، سلفية المعتقد كلمة فيها شيء من السعة، بحسب رغبة المتكلم؛ لأن السلف لهم أبواب في مسائل الإيمان باب، باب الإيمان الأسماء والصفات باب من أبواب المعتقد، نتهج التلقي من أبواب المعتقد، الكلام في الغيبيات وما يتعلق بها هذه من أبواب المعتقد، هذه الأبواب تجد أن الملتزم بها اليوم كثير.

لكن هناك أبواب كتب العقيدة للسلف منها مثلا في مسائل الإمامة والولاية وما يتعلق بها، منها مسائل إنكار المنكر ومخالفة أهل السنة والجماعة للمعتزلة وللخوارج وما شابههم في طرق إنكار المنكر، ومنها الكلام في الأخلاق وما يتبع ذلك، لشيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية هذه ذكر عدة أشياء، منها فصل في الإمامة وما يتعلق بها، وفصل في إنكار المنكر وما يتعلق به، مخالفة أهل السنة للمبتدعة في ذلك، ومنها كلامه في الأخلاق وما يتعلق بذلك،

ومنها أن أهل السنة والجماعة يبغضون التفرق والتحزب ويأمرون بالاجتماع والائتلاف.

إذن إذا قالوا: نحن على معتقد السلف الصالح، نقول: الاختبار أن نأخذ أبواب معتقد أهل السنة والجماعة نبحث فيها الباب الأول الباب الثاني إلى أن تصل إلى هذه الأبواب، هل يلتزم بها أولئك بهذه الأبواب، تجد أنهم مثلا إذا أتت إلى مسائل الإمامة يفسرونها بالإمامة العظمى؛ يعني بعضهم يفسرون الإمامة الإمام الذي له الحق الإمام الأعظم الذي تجتمع عليه الأمة، وهذا مخالف لما جاء في السنة، مثلا في مسائل إنكار المنكر فيه أشياء مخالفة لما ذكروا.

حتى إنه من العجيب أن بعضهم استدل للمظاهرات وتجويز المظاهرات في الدعوة وأنها وسيلة من وسائل الدعوة بأي شيء؟ بما نقل في التاريخ بأن عوام بغداد خرجوا وفعلوا كذا وكذا، يعني أهل بغداد خرجوا وفعلوا وكسروا، وأهل دمشق خرجوا وعملوا ، هذا منهج جديد من الاستدلال.

نقل عن عوام في بلد من البلاد، يقولون: لم يزل التاريخ يحدثنا أن أهل دمشق خرجوا واجتمعوا إثارة للوالي ولم يزل التاريخ يحدثنا أن أهل بغداد خرجوا حتى ذهبوا...

ما هذا يعني دخول مسألة مقررة ويذهب يتلمس إلى شيء من التاريخ، والعجب أن يقتنع ناس بمثل هذا.

كيف فهت أنها دليل على المظاهرة، المظاهرات ما هي؟ ليست إظهار الدين، المظاهرة المطالبة بأشياء، المشكلة هذا تلمس، واحد يكون على شيء مقرر عنده شيء، ويبحث إذا قرأ في السيرة شيء قال هذا ...

عنـده مبـدأ السـرية يـأتي إلى قصة أبو بكر وأنه لما أتت أحد الصحابيات، أحد الصحابيات أتت تسأل عن أبي بكر....

المقصود أن حال بحادث سـيرة أُسـتدل به على السـرية، سـمعنا الاحتجـاج به في وقت مضـى، يأخـذون مثل هـذه الحوادث التي عند أهل العلم تحتمل أشياء كثيرة لا يكون بها الاستدلال ولا الحجة ولا البرهان، فتجد أنه يقرر عنده شـيء وهـذا اتبـاع الهـوى أنه تقـرر عنـده شـيء وطريقة اجتهادية عقلية أخذها لنفسه، وإذا ناقش أو حصل سؤاله كيف، ذهب يتلمس هذه من السيرة هذه من كلام العلماء، هـذا بلا شك ليس هو سبيل الاحتجاج الصحيح، الحجة الصـحيحة واضـحة من الله جل وعلا وبكلام النـبي صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ من كلام الصـحابة ولا معــارض لــه، أو من كلام أحد أئمة أهل السنة، وأيضا لا يخالفه في الدليل.

نختم بهذا، وأرجو أن يصير اللقاء

أعد هذه المادة: سالم الجزائري